

من يفترض أنهم حملة دينه ورسالة أنبيائه... وقد عاش بنو إسرائيل من بعد الإطاحة بمملكتي إسرائيل ويهوذا تحت الاحتلال الأجنبي... وفتتوا - كما سنرى - بما تقفن به أمة الإسلام اليوم من الإعجاب بالغرب ومدنيته وحضارته .

مملكة يهوذا (٩٣١)

(ق.م - ٥٨٦ ق.م)

(إصحاحات الملوك وأخبار الأيام)

- نعود إلى انقسام مملكة سليمان عليه السلام

من بعده ... فقد قامت

الحروب بين رحبعام بن سليمان (٩٣١ - ٩١٣ ق م)

ويربعام طوال عهدهما، ثم

ورث أبيام (٩١٣ - ٩١٠ ق

م) أباه رحبعام فهاجم

إسرائيل بأربعمائة ألف

مقاتل، وقتل من جيشها

البالغ ثمانمائة ألف قتل منهم

خمسائة ألف من خيرة

المحاربين (أخبار الأيام

الثاني ١٣: ١٣ - ٢٠) .. <

- الأرقام خيالية من حيث العدد والله أعلم.. إلا أنها على أي حال تعكس ضراوة الحروب الداخلية بين بني إسرائيل وقسوة بعضهم على بعض..

.. من المؤسف أن نذكر أن حروب المسلمين فيما بينهم قد تسببت في قتلى هم أضعافاً مضاعفة لا تحصى قياساً لما قتله غير المسلمين منهم أو لما قتلوه هم من غيرهم..

ولعلي أذكر القارئ بأن السبعين ألفاً الذين

قتلوا بمعركة صفين وجميعهم مسلمون يزيدون

كثيراً عن قتلى وشهداء معارك الإسلام قبل

صفين كلها مجتمعة.. مع أن الفتوحات بتلك

المعارك السابقة على صفين قد بلغت الصين

والأطلسي ، هذا تاريخ محزن حدوثه لكننا لا

نملك أن نتجاهله وقد حذر من وقوعه الرسول

صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو

يوصي الناس ويستصحبهم ، كما جاء في

صحيح البخاري- فيقول " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.."	
- واضح من أسفار الأنبياء صلاح آسا، وقوة إيمانه وتوكله على الله، وأخذه بعد ذلك بالأسباب المادية التي شملت تحصين المدن وصناعة السلاح وإعداد الجيش، قام بكل ذلك في وقت سلم وأمن، لكنه لم يركن لذلك، بل أعد العدة تحسباً لأوقات الحروب، التي سرعان ما داهمته، فثبته الله عزوجل ونصره، " وحل روح الربّ على عزريا بن عوديد" (أخبار الأيام ١٥ : ١) نبيا ناصحا وموجهاً فكان في ذلك تثبيت لآسا.. فقطع آسا العهد لله مع من تجمع إليه من الأسباط " أن يطلبوا الرب إله آبائهم من كل قلوبهم وأنفسهم، وأن يقتلوا كل من لا يطلب الربّ إله إسرائيل، لا فرق في ذلك بين صغير وكبير، رجل وامرأة، وحلفوا للرب معلنين ولأههم بصوت عظيم.. " وقدموا سبعمائة بقرة وسبعة آلاف من الضأن قربانا وتوبة لأمنهم لله عزوجل.. أخبار الأيام الثاني ١٥ : ٨ - ١٥ .. وقد نصره الله في حروبه إلا في آخر حياته لما لم يستعن بالله..! - قليلون من ملوك بني إسرائيل الذين كانوا صالحين كأسا.. وقليل هم الذين جمعوا بين	- خلف آسا (٩١٠ - ٨٦٩ ق م) أباه أبيام على عرش يهوذا ، وكان صالحا فأبّاد " طائفة العاهرين الذين يمارسون الشذوذ كجزء من عبادتهم الوثنية، واستأصل جميع الأصنام التي أقامها أبأوه" الملوك الأول ١٥ : ١١-١٢ "وأوصى شعب يهوذا.. أن يطبقوا الشريعة والوصية، واستأصل من كل مدن يهوذا المرتفعات وتماثيل عبادة الشمس، فاستراحت المملكة في عهده، وبني مدنا حصينة" أخبار الأيام الثاني : ١٤ : ٤ - ٥ ، وأقام حول المدن الأسوار والأبراج والأرتاج.. وجعل في جيشه ثلاثمائة ألف من حملة الأتراس والرماح، كلهم من

سبط يهوذا، ومثنتين وثمانين ألفا من سبط بنيامين من حملة الأتراس ورماة الأسهم، وأباد بهم جيش الكوشيين الذين هاجموا بمليون محارب لم يكن ليقدر عليهم لولا تضرعه إلى الله عزوجل ولجوؤه إليه كما يروي الكتاب المقدس، فنصر وأهلك الكوشيين حتى لم يبق من جيشهم أحدا! (أخبار الأيام الثاني ١٤: ٩-١٣) ..

..إلا أن السفر أعلاه يروي خذلان الله له في آخر حياته بسبب استعانته بملك أرام الوثني المقيم بدمشق على بعشا ملك إسرائيل، وكان الأخير قد هاجم مملكة يهوذا لكنه اضطر للانسحاب عنها لإنقاذ مدنه من هجوم ملك أرام.. ويروي بالسفر أنه في ذلك لم يتكل على الله بل

الصلاح والإصلاح مع إعداد أسباب القوة والبناء والتجهيز للعدو المحتمل..

وأعلم أنني سأنتقد.. ولكنها الملاحظة التي لا أستطيع تجاوزها، وأذكرها بأسف.. تلك هي قلة أو على الأقل قلة نسبية كذلك لمثل هذا الطراز من القادة خلال التاريخ الإسلامي.. ولا أشك أننا قد تميزنا عن اليهود كأمة على مستوى الأفراد والشعوب.. كنا وما زلنا بفضل الله تعالى خير أمة أخرجت مثلاً ربانيا للناس.. هذا على مستوى الأفراد والشعوب.. أما على مستوى الحكام فقد امتلأ التاريخ الإسلامي ومنذ عصر مبكر بطغاة وفاسقين وعصاة من طبقة القادة والحكام تجعلني أتردد في الجزم السريع المطلق بتفوقنا في هذا الجانب على اليهود.. والله أعلم.. وذلك أمر مؤسف بكل المقاييس..

.. أرجو أن يلاحظ القارئ معي أن هنالك عدداً من الصالحين لم تُختم سيرهم بالعهد القديم عطرة كما بدأت.. ونذكر هنا سيرة سليمان عليه السلام على ما يرويها الكتاب المقدس، وسيرة شاول (طالوت)، بل وهارون عليه السلام حين نسبوا إليه الأمر بصنع العجل، بل وحتى موسى عليه السلام لم تخل التوراة من

انتقاصه.. وكذلك جوشيا الملك الصالح الذي سيرد الحديث عنه، وهاهنا الملك المجاهد آسا.. وغيرهم.. ونجزم بأن ما نسب لهارون وسليمان وداود إنما كان افتراء.. ونتوقف عن ما نسب لبقية صالحهم، ولا نستبعد كون ذلك أيضا مما أصاب كتبهم من تحريف.. وإننا لنعجب من ظاهرة الافتراء المكشوف هذه على الأنبياء.. وهي مكشوفة لأنها نسبت الكبائر إلى الأنبياء والصالحين الذين يستحيل منهم صدور هذه الكبائر ثم يظلون بعدها أئمة تُنسب إليهم كتب مقدسة ويمتدحون في كل الأجيال حتي أتى ذكرهم بالقرآن الكريم مشرفا.. إنها افتراءات تكشف عن عداة كثير ممن تناقلوا الكتب للأنبياء عليهم السلام!	اتكل على ملك أرام فتخلّى الله عنه.. وأصابه مرض شديد لم ينفعه عليه الأطباء الذين استعان بهم.. فمات بعد إحدى وأربعين سنة من الحكم .<
	ثم خلف يهوذاشافاط (٨٦٩-٨٤٨ ق م) أباه آسا، وكان صالحا، أمر الكهنة في زمانه أن يتجولوا في جميع أرجاء يهوذا ليُعلموا الناس شريعة الرب، وحرص على إقامة العدل، ومنع المظالم، والحكم بالشرعية، وأوصى بذلك القضاة والحكام، وبنى

جيشاً قويا بلغ تعداداه مليون ومائة وستين ألف محارب (هذا على ما ذكر بالكتاب المقدس)، وبنى أسطولا بحريا، وازدهرت مدن يهوذا وانتشر بها الصلاح والعدل والرخاء والثراء.. ونصره الله في حروبه على أعدائه نصرا مبينا، وكان يأمر الناس بالصيام قبل الحرب والدعاء والابتهاال والسجود لله، ولم يؤخذ عليه إلا أنه تحالف مع آخاب ملك مملكة إسرائيل الشمالية، واشترك معه في حرب حذره منها أحد الأنبياء، ولكن الله عزوجل سلمه وجيشه وأهلك آخاب المرتد وجيشه، وعاتبه بعد ذلك أحد أنبياء عصره كيف يعين الشرير ويحب مبغضي الرب..

- وحكم من بعده يهورام

- يُذكر زواج يهورام من بنت آخاب ملك إسرائيل المرتد كسبب رئيسي لضيال يهورام وابنه أخزيا من بعده.. وذلك أن الزوجة التي أتى بها أبوهـم الصالح يهوشافاط إنما أتى بها من بيت ردة وثنية.. مرة أخرى تظهر فتنة النساء في بني إسرائيل..

- يُلاحظ القارئ تفاوت الحكام في صلاحهم وفسادهم.. بدرجة لا يبدو أنها أسوأ مما مرّ بعد ذلك على الأمة الإسلامية خلال تاريخها الطويل.. فقد ابتلي المسلمون كما أخبرهم

(٨٤ - ٨٤١ ق . م)
الشرير الذي شيد المعابد
الوثنية، وأضل قومه، وقتل
إخوته، فهزمه الله بأيدي
الشعوب المحيطة به من
العرب والفلسطينيين، فنهبوا
أمواله وسبوا نساءه، وقتلوا
أولاده إلا إخزيا (يهوآحاز)
ابنه الذي ملك (٨٤١ - ٨٤١
ق م) بعده وكان مثله
شريرا.. وقامت عتليا
(٨٤١ - ٨٣٥ ق م) أم أخزيا
(حفيدة الملك المرتد بمملكة
إسرائيل عمري، وقد حكمت
لست سنوات من بعد أخزيا)
بقتل كل من بقي من أبناء
بيت يهوذا إلا رضيعا اسمه
يوآش تم تهريبه منها، إلى
بيت الكاهن يهوئادع، الذي
رباه، ثم أخذ له البيعة
(٨٣٥ - ٧٩٦ ق م) سرا،
ثم قتل أم أخزيا التي ثارت
على صنيع يهوئادع..

الرسول عليه الصلاة والسلام بالحكام الفاسدين
منذ عهد مبكر من تاريخ الإسلام.. ولعلّ ما
يُميّز الأمة الإسلامية في هذه القضية هو ندرة
المجاهرة بالكفر البواح من قبل حكامها، إلا في
العصر الحالي الذي جاهر فيه الحكام بتعطيل
الشريعة بل وفي بعض الأحيان بإعلان الكفر
البواح وغمز الدين بالكلام المباشر..
ومرة أخرى نكررها: تظل في الواقع ميزة
هذه الأمة عن بني إسرائيل في ترسخ إيمان
عامتها.. فلا نعلم في تاريخ الأمة مثل هذه
المسارعة إلى الكفر وعبادة الأصنام والتذبذب
بين الإيمان والكفر من قبل العامة اتباعا لأهواء
الحكام وتذبذباتهم.. لقد حافظت الأمة الإسلامية
على صلاحها وحرصها على الدين وتعاليمه
ومدارسته بغض النظر عن صلاح الحكام
وفسادهم.. وتلك هي بلا شك إحدى فضائل هذه
الأمة المباركة..
لقد حافظ أكثر العلماء والدعاة على هجر
السلطين، والزهد في إغراءاتهم، والابتعاد
عنهم إلا مضطرين، فأبقى ذلك لهم وللدين هيبة
في نفوس هؤلاء الحكام..
يلاحظ هنا أن تدخل الكاهن يهوئادع قد
حافظ على بقاء الأسرة المالكة من أبناء داود..

- أخذ يهوياح العهد على الشعب والملك أن يكونوا للرب (أخبار الأيام الثاني ٢٣: ١٦ - ٢١)، واندفع الناس نحو معبد بعل فحطموا تماثيله ودمروه وقتلوا كاهنه، وجدّد يوّاش بناء بيت الله.. وظلّ صالحا حتى مات الكاهن يهوياح الذي رباه، فأضله قادة يهوذا وارثه، وعبد الأصنام وتماثيل عشتاروت.. فانتقم الله منه بالآراميين الذين هزموه رغم قلة عددهم وكثرة عدد جنوده، وأفنوا كل قادته، وتركوه يعاني من جراحه، فأجهز عليه اثنان من رجاله انتقاما لدم زكريا النبي الذي قتله (بالطبع غير زكريا أبي يحيى عليهما السلام)..

وحكم أمصيا بن يوّاش (٧٩٦-٧٦٧ ق م) بعد ذلك

وأنفذ البلاد من الردة على الأقل أثناء حياته.. فإيجابية مواقف العلماء تجاه الأحداث التي يعاصرونها تظل هي الموقف الأصلي المتوقع من العلماء .

- من المشهور أن ردّة آحاز وتعظيمه لأصنام آشور بلغت حدّ تقيّبه ابنه قربانا محروقا لهذه الأصنام!!

- يذكر سفر الأخبار الثاني (٢٤: ١٧ - ٢١) أنّ الله أرسل أنبياء لينذروا بني إسرائيل " ويدعونهم للتوبة، ولكنهم لم يرتدعوا"، وكان ممن نبؤا زكريا بن الكاهن يهوياح الذي أُنذر اليهود بنبذ الله لهم، فأمر يوّاش برجمه بالحجارة في ساحة الهيكل، دون مراعاة لنبوته ولا لفضل والده عليه..

.. نلاحظ اتباع العامة لملوكهم في سهولة بالغة، حتى في قضايا الإيمان والكفر، وقتل الأنبياء عليهم السلام.. ومن هنا فقد استحق الجميع العقاب الإلهي، وما كان للمستضعفين والعامة أن يطيعوا كبراءهم في هذه القضايا ولا فيما فيه عصيان لأوامر الله عزوجل..

لتسعة وعشرين عاما، وكان فيه صلاح، وهزم ساعير (أدوم) وقتل من رجالها عشرة آلاف، وسبى عشرة آلاف آخرين قتلهم برميهم من فوق قمة جبل ساعير! و"حمل معه آلهة بني ساعير ونصبها له آلهة، وسجد لها وأوقد لها بخورا!" وهدد النبي الذي زجره عن هذه الردة بالقتل، وهزم بعدها على أيدي الإسرائيليين (مملكة الشمال)، ثم ثارت عليه فتنة وتم اغتياله، فخلفه ابنه عزيا (٧٦٧ - ٧٣٩ ق م)، وكان صالحا في أول عهده كأبيه أمصيا، وحكم لاثنتي وخمسين عاما، وانتصر على أعدائه من الفلسطينيين، والعمونيين، وبلغ جيشه أكثر من ثلاثمائة ألف، فاغتر، واعتدى على حرمة الهيكل ليوقد للتبخير

وكتاب الله عزوجل صريح في ذلك يوم يتخاصم الفريقان، فلا يعذر المستضعفون ولا يُستمع إليهم..

- كثرت بالتأريخ اليهودي بما فيه تاريخ مملكتي إسرائيل ويهوذا نماذج الحكام الفاسدين والمرتدين، والذين غيروا الدين والتعليم إرضاء لأسيادهم من الوثنيين أو إعجاباً بهم.. وأحاز هنا مجرد مثال من كثيرين مثله.. وللمرء أن يعجب كيف كرر المسلمون هذا الأمر، وعطل حكامهم الحكم بشريعة ربهم وغيروا تعاليم دينهم إرضاء أو إعجابا بالكفار.. وتجاهلا لرغبة شعوبهم وحقوقها عليهم..

يظل للقارئ المسلم الحق في الاندهاش الشديد من مسارعة اليهود نحو عبادة الأصنام تقليدا للأمم الوثنية من حولهم، حتى في لحظات انتصارهم هم أنفسهم عليها يقتبسون منها أوثانها! وقد مرّ معنا على ذلك أمثلة من قبل.. ويستغرب المسلم كيف تصل الأمور بالشعب المؤمن (من بني إسرائيل) أن يُجاهر فيه بمظاهر الشرك والوثنية دون أن يتصدى لها عامة المتدينين والكهنة (العلماء).. ولكن الكهنة كثير منهم كانوا هم رؤوس الأفاعي

به، وهو ما اختص به أبناء هارون عليه السلام، فعاقبه الله بالبرص، وانعزل حتى مات، فخلفه يوثام (٧٣٩- ٧٣١ ق م) وكان كأبيه صالحاً إلا أنه لم يصلح شعبه، ومات بعد أن نصر على أعدائه، فحكم بعده ابنه أحاز (٧٣١- ٧١٥ ق م)، وكان شريفاً مرتداً، سبك التماثيل لعبادة البعل، ونشر الوثنية بيهودا، وأقام لها المعابد والمذابح، يساعده في ذلك الكاهن أوريا، وهدم أحاز الأوعية البرونزية بالمعبد، ووضع مكانها معبداً وثنياً آشورياً، إرضاء لسادته الجدد آشور الذين خلصوه من أعدائه بمملكة الشمال (إسرائيل) وبدولة دمشق الآرامية.. وأدت هذه المداينة الاختيارية إلى انتشار الوثنية المرتبطة

وقادة الضلال.. والأمثلة على ذلك كثيرة.. كيف وهم قد انغمسوا في جمع الأموال والتآمر على الأنبياء كما يتضح ذلك من العهد القديم والإنجيل والقرآن ومن التاريخ.. ولا يخفى أن جماعة من المؤمنين قد اختارت مقاطعة المجتمع لفساده وعبادة الله عز وجل بالكهوف والصحارى.. وإن كانت هذه المجموعات ومنها جماعة قمران التي كتبت مخطوطات البحر الميت لم تظهر في الواقع إلا في عصور متأخرة لاحقة..

من المناسب هنا الإشارة إلى انتشار مظاهر شركية كثيرة بين كثير من جهلة المسلمين في مختلف أقطار العالم الإسلامي.. وقد يستغرب القارئ إذا ذكرت علمي بتعارف قرى إحدى المقاطعات ببلد مسلم على اتخاذ كل قرية لقبر ولي.. يلجأ إليه أهل القرية لقضاء حوائجهم وإنزال أمطارهم.. قال لي أحدهم إنهم يذبحون بجانب قبر الولي الذبيحة ويصبون الماء على دمها المسكوب بالأرض حتى يضمنوا بلوغ الدم إلى الولي المدفون ليسكن لهم العواصف ويحقق لهم المطالب.. وانتشر بين كثير من المسلمين ما شاهدناه من التمسح بالقبور والطواف حولها وتقديم القرابين لها.. ودعاء

الأموات (الأولياء) والاستغاثة بهم، والحلف بغير الله.. وأمور أخرى كثيرة كلها من المظاهر الشركية.. لكنها لا تصل إلى عبادة الأصنام صراحةً كما ظلّ بنو إسرائيل على مرّ القرون يمارسونه وينحدرون إليه رغم نصح الأنبياء والصالحين لهم وتحذيرهم.. لكنّ انتشار تلك المظاهر الشركية لهو ممّا يُصدّق الأحاديث في تكرارنا لمعاصي بني إسرائيل بما فيها من معاصي الشرك، ولو بنطاق أضيق أحياناً.. وإذا كنا مندهشين من تهافت بني إسرائيل على عبادة الأصنام وتبني عقائد الأمم من حولهم.. فإننا المسلمين - اليوم في حال لو اطلع علينا مسلم من الأجيال المسلمة السابقة لصعق مما نحن فيه واندesh أكثر من دهشتنا من مسارعة اليهود نحو الوثنية وتقليدهم من حولهم.. هل يتخيل مسلم من الأولين أن يُجاهر بالكبائر بين عامة المسلمين.. يمرّون عليها بالصباح والمساء دون اعتراض أو نقد ! فحانات الخمر معلنة بشوارع معظم المدن الإسلامية، بل ودور البغاء قائمة تحميها قوانين الكثير من حكومات المسلمين، ودور الربا لا تخلو منها مدينة إسلامية، وأحكام الشريعة تكبّر عليها معظم الحكام المسلمين، فلا هي	بعبادة الشمس والقمر والنجوم بمملكة يهوذا.. "فأسلمه الربّ لملك آرام" الذي أسر الكثير من جند آحاز وأخذ عليه أيلة، ثمّ أسلمه الله لملك إسرائيل فقح الذي هزمه وقتل من جنده مائة وعشرين ألفاً، منهم كثير من مقربيه، وسبى من نساء يهوذا وأبنائها مائتي ألف، فاستعان آحاز بملك آشور الوثني على بني إسرائيل بمملكة إسرائيل وعلى ملك آرام، وأظهر له الخضوع، وأرضاه بالأموال، فاحتل ملك آشور دمشق عاصمة الآراميين، وبني آحاز بالهيكل مذبحاً وثنيا إرضاء لملك آشور على غرار المذبح الذي بناه الأخير بدمشق، وأرضاه بمحاكاة ديانته الوثنية.. ومع هذا فقد ضايقه ملك آشور
---	---

وأذله واغتصب أمواله..
وكان آحاز بذلك سببا
لضياع مملكة إسرائيل
واندثار أبناء عشرة أسباط
من أسباط بني إسرائيل
الاثنا عشر كما فصلنا
أعلاه.. <

تُدْرَس ولا تُطَبَّق، بل عامة ما يُدرّس ويطبق
هو قوانين الأمم الكافرة، فكأنّ المسلمين تبرؤوا
من شريعة ربهم، وآثروا عليها أحكام وآراء
الكفرة من حولهم، ثم رفعوا أيديهم إلى الله
يجأرون إلى الله عزوجل أن ينصرهم..!
ومظاهر الإسلام انكمشت إلى المساجد..
فتماثيل الزعماء والقادة ودور الموسيقى
والسينما انتشرت في ساحات المدن المسلمة
وشوارعها بما يفوق انتشارها بالمدن غير
المسلمة، وعمرها الناس أحيانا أكثر مما
يُعمّرون مساجدهم، وأولاء نساء المسلمين قد
خلعن الحجاب وكشفن عن زينتهن وشعورهن
وسيقانهن وصدورهن فلا يكاد أحد من الأولين
يحسبهن من نساء المسلمين، ويرى المرء كثيراً
من شباب المسلمين ، وقد تحلّى بالأساور
والقلائد، وتمايل كالأناث في مشيه وحركته،
وتلقف كل تقليعة وموضة من الغربيين ،
وتسابق عليها تسابق الجيل الأول على اتباع
وحي السماء.. هذه حالنا من ديننا وهي ليست
ببعيدة عن انحذارات اليهود لولا بقية من
الصالحين والمتمسكين بالكتاب.. والله أعلم..

- يعتقد أن حزقيا هو عمانوئيل (الاسم معناه الله معنا) الذي كان النبي أشعيا قد بشر أباه آحاز بقدومه حين طلب منه الصمود أمام الأعداء (من الواضح أن هذه لم تكن بشارة بعيسى عليه السلام كما يزعم النصارى). وكان حزقيا على ما وُصف بالعهد القديم مثال الصلاح والاستقامة.. ولكن قومه لم يثبتوا فاستحقوا العقاب من بعده.. - جاء في إرمياء ٢٦: ١٨ : " <u>إن ميخا المورشتي تنبأ في عهد حزقيا ملك يهوذا، وخاطب كل شعب يهوذا قائلاً : هذا ما يعلنه الرب القدير: إن صهيون ستحرث كحقل وتصير أورشليم كومة من الخرائب، وجبل الهيكل مُرتفعاً تنمو عليه أشجار الغاب"..</u> <u>وكان هذا النذير وأمثاله سببا في الدعوة للتوبة والإصلاح زمن حزقيا..</u> <u>وتجنب الناس عقاب الله عز وجل الذي وقع على أجيال من بعدهم رفضت التوبة والاستماع لنذر الله ورسله..</u>	- جاء <u>حزقيا</u> <u>Hezekiah</u> (ابن آحاز ٧١٥- ٦٨٦ ق م) <u>مختلفا عن أبيه..</u> فقد أعاد الناس إلى عبادة الله وحده، وطالب الكهنة والناس بالتوبة إلى الله، والتسبيح له والسجود، وتلاوة المزامير، وتقديم الأضاحي، وتجديد العهد مع الله، ذلك العهد الذي خانته آباؤهم فاستحقوا "غضب الرب" عليهم، وقام بتطهير الهيكل من الأصنام، وهدم المعابد الوثنية بالمرتفعات والوديان، وأبنى صنم عشتاروت (كأنها أم البعل) وكل الأصنام والرموز الكثيرة لعبادة غير الله... التي أدخلها أبوه آحاز، واستمع للأنبياء أشعيا وميخا.. <
- وفي هذا النصر آية للمؤمنين.. لقد كان سوء قدر سنحاريب أنه هاجم ملكا صالحا ومصلحا	- وقد قام سنحاريب Sennacherib الملك الآشوري بحصار تام للقدس

عام ٧٠٥ حتى ٦٨١ ق م، وكان قد أنشأ إمبراطورية ابتلعت ما حولها من ممالك .. وسخر سنحاريب من تصميم حزقيا على الصمود، واستكبر بأنه ليس لهم من ناصر، وأن كل آلهة الأمم التي قاتلها الآشوريون من قبل لم تغن عنهم شيئاً، وقال " كيف يستطيع إلهكم أن يُنقذكم من يدي " .. وكان حزقيا قد استعد له بترميم سور أورشليم وبناء الأبراج المرتفعة به، وردم جميع العيون والينابيع خارج المدينة، وشجع الناس معه على الثبات والتوكل على الله، وقال لهم "تقووا وتشجعوا، لا تجزعوا، ولا ترتعبوا من ملك آشور ولا من الجيش الذي معه، لأن الذي معنا أكثر من الذي معه، فمعه قوى بشرية،

للأمة معه، فما كان له عليه من سبيل، ورب العالمين ناصرهم.. يلاحظ هنا كيف أن المؤمنين كانوا قد تابوا وأنابوا إلى الله من قبل وقوع العدوان، وأنهم أخذوا بكل الأسباب المادية التي أُتيحت لهم لقتال أعدائهم، ثم كانوا من قبل ذلك ومن بعده متوكلين على الله، مسترشدين بنبيهم...

" وكأين من نبي قاتل معه ربّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين.." آل عمران ١٤٦

.. ومع هذا فإن بعض المؤرخين العلمانيين اعتبر هذا الانتصار نقمة على اليهود ! فقد كان سبباً في توقع أجيالهم التالية نصراً مشابهاً، وكان بالتالي ذلك سبباً في إقدامها على مجابهات لقوى عظمى، هي مجابهات أقرب للانتحار، ولم يكن ليُجرّوها عليها إلا أنها توقعت نصراً إلهياً مثل ذلك الذي تمّ لليهود على سنحاريب..

_ لقد كان في حزقيا مثلاً للحكام المصلحين.. وقد تأخر عقاب الله ليهودا بسببه دهرًا من الزمان.. ولو ثبتت يهودا على طريقته لتفادت البلاء الذي وقع عليها من بعده.

ومعنا الربّ إلهنا لِنُجِدنا

ويحارب حروبنا"، وفوق كل

ذلك استغاث بالله هو والنبي

إشعيا الذي عاصره...

فأهلك الله جيش سنحاريب

وقادته، يذكر الكتاب المقدس

بأنه أهلك بملك من السماء،

وعاد سنحاريب إلى أرضه

مخدولاً، فلما دخل معبده

قتله أولاده بسيوفهم، وكان

نصراً بيتاً للمؤمنين.

... "لقد أفلح حزقيا في كلّ

عمل قام به". كانت تلك

هي خاتمة حديث سفر أخبار

الأيام عنه.. ولم يؤخذ عليه

إلا مرة امتلاء قلبه ببعض

الكبر وعدم عزوه شفاؤه من

مرض شديد إلى الله..

وصفح عنه بعد ذلك.. <

- وما أشبه حال المسلمين اليوم بحال اليهود

من قبل.. فإنّ النصر الذي تخلف عن اليهود

في معظم مواجهاتهم كان بسبب تمردهم على

الشريعة كما ذكر ذلك لهم أنبياءهم، الذين كثيراً

ما حذروهم (كما هو ثابت عن ميخا وإشعيا

وإرميا ويحيى وعيسى عليهم السلام وغيرهم)،

حذروهم أنهم لن يُنصروا عسكرياً على عدوهم

بسبب زيغهم.. ولكن غرور اليهود بالله

وحظوتهم لديه - رغم زيغهم واستمرائهم

للمعاصي- غرهم بالإقدام على حروب تسببت

في النهاية في هلاكهم واستئصالهم من الأرض

المباركة.. وهذا من مكر الله باليهود وبكثير من

عصاته الذين يغترون بنعمة الله عليهم،

ويحسبون أن الله عزوجل بما وهبهم من مال أو

صحة قد فضلهم على بقية خلقه.. ولعل

القارئ يذكر هاهنا مثل صاحب الجنتين الوارد

بسورة الكهف الذي ما حسب أنّ الله سينزع

عنه نعمه " ما أظن أن تبديد هذه أبداً وما أظن

الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن

خيراً منها منقلباً"

فهل يعي المسلمون هذا الزمان كذلك أسباب

تخلف نصر الله عنهم بعد أن رفض اليهود أن

يلتفتوا إليها فكان في ذلك هلاكهم.. يبدو أننا

نكرر نفس التغافل والتعامي عن نداءات

المُصلحين..

إن من واجب المسلمين أن يأتَمروا بأوامر الله وشريعته حتى يحق لهم أن يتكلموا على نصره، وإلا فما معنى أن نُؤمر بالقرآن (الأنفال ٤٥-٤٧) عند لقاء الأعداء بطاعة الله ورسوله وعدم التنازع وبالثبات والصبر وبالإخلاص والابتعاد عن الكبر والرياء ثم لا نقوم بشيء من ذلك ونسأل الله مع ذلك نصره المؤزر على أعدائنا.. وكثيرا ما نكون نحن.. نحن في الواقع أعداء أنفسنا قبل عدونا!

- إن توقع التأييد بالمعجزات عند لقاء الأعداء الذين يتفوقون علينا كثيرا في قوتهم وعدتهم، ولا نمتاز عليهم حتى ولا باتباع الدين حقا أوبتحكيم شريعته، إن ذلك انتوقع لهو بناء على الأوهام وجري وراء السراب.. وبسببه ضاعت أمم في تاريخنا القديم والحديث.. تماما كما وقع على بني إسرائيل.. وكان الواجب دائما هو التوجه إلى الله بالتوبة، والإنابة، وإصلاح المفاصد الظاهرة بالبلاد بما في ذلك من مظاهر الردة وتعطيل الشريعة.. ثم إعداد القوة والاستعانة بالله تعالى.. وبغير ذلك فعلى المسلمين ألا يستغربوا تخلف النصر عنهم...
إن نصرا كان قريبا من المؤمنين بأحد قد حوّل

إلى هزيمة لما وقعت المعصية من الصحابة رضوان الله عليهم رغم وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم.. وإن الواحد من الصحابة على قوة إيمانهم لم يُعادل بسورة الأنفال إلا باثنين من الكفار.. وأجيز لهم - كما فهم الكثير من العلماء- التراجع عن قتال من يزيد على ضعفهم عددا وعدة، بل فهم البعض جواز الفرار لهم ممن هؤلاء الذين يزيدون على ضعفهم عددا.. فكيف يطمع العصاة بل والمرتدون الذين استهزأوا بالدين وعطلوا شريعته واقتبسوا عقائد وشرائع الوثنيين من الأمم الأخرى واضطهدوا المؤمنين ، كيف يطمع هؤلاء بأن يُؤيدوا فيُنصروا على أمم تفوقهم عدة وقوة بعشرات الأضعاف؟ أفيطمعون بتأييد لم يُعط مثله للأنبياء..!

لا يخفى على القارئ كذلك أن الحقيقة الأخرى عن الفريق الآخر الأكثر من حكام المسلمين هي أنه لا يبدو أنهم يُحدثون أنفسهم بمواجهة أعداء الأمة ولا أنهم يسعون للاستعداد لمثل تلك المواجهة..

- حكم ماناسه أو منسي مملكة يهوذا لمدة خمسة وخمسين عاما، قام فيها بنقض كل الإصلاحات الدينية التي قام بها والده، مع

ارتداد الملك ماناسه (عام ٦٨٦ - ٦٤٢ ق.م) ابن حزقيا (كان ابنه الوحيد)،

وإدخاله عبادة بعل وعشتاروت ومعبودات أخرى إلى داخل بيت الله بأورشليم كما فعل آخاب من قبل.. وقد قدم ابنه أضحية محروقة لهذه الأوثان التي عبد.. وأفسد و" سفك دماء أبرياء كثيرين". <

إدخال عبادة بعل، وعشيرة (ربة الإخصاب!)، وعبادة عشتاروت وغيرها.. كل ذلك تقريباً للدولة العظمى في زمانه دولة آشور، ومحاولة لإظهار عدم التعصب لدين واحد .

- يشير سفر أخبار الأيام الثاني (٣٣ : ١١ - ١٧) إلى أسر ماناسه (أو منسى) وسجنه ببابل، وتوبته وتضرعه لله وهو بالسجن، واستجابة الله تعالى له ورده إلى مملكته التي حصن أسوار مدنها وهدم المذابح والمعابد التي أُقيمت لغير الله بأورشليم.. وأمر الناس بعبادة الله وحده.. وقد أثبتت تضرعات ودعوات نُسبت إلى ماناسه بإحدى الرسائل القديمة "صلوات ماناسه" ..

- وأنذر إشعيا عليه السلام قومه من اليهود كذلك بالعقاب الشديد " ها إن الرب يُخرب أرض يهوذا ويُفقرها ويُقلب وجهها ويُسبِت سكانها.. تَدنسُ الأرض تحت سكانها لأنهم نعدوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض ونكثوا العهد الأبدي، لذلك التهمت اللعنة الأرض، وعُوقب أهلها بإثمهم.." إشعيا ٢٤ : ١، و٥ - ٦ ..

- استشهاد إشعيا عليه السلام: جاء وصف

استشهد إشعيا في رسالة " صعود إشعيا
 TheAscension of Isaiah"، ورسالة
 The martyrdom of Isaiah استشهد اشعيا
 وهما رسالتان يهوديتا الأصل حرفتهما إجماعا
 أقلام الكتبة المسيحيين حتى مسخوهما.. تذكر
 الرسالتان أن إشعيا كان قد أخبر حزقيا بالفساد
 الذي سيحدثه ابنه ماناسه من بعده، وأن ذلك
 أحزن حزقيا حتى عزم على قتل ابنه الوحيد
 لولا منع النبي إشعيا له لأنه لن يقدر عليه،
 وذلك قدر قد كتب.. وتسببت تلك النبوة في حقد
 ماناسه على إشعيا.. فلما جاءه الملك امتنع في
 ذاته عن العبادات، ثم امتنع بعده أهل بيته، ثم
 نشر الردة والسحر والزنا والتطير بالطيور،
 واضطهاد الصالحين بأورشليم، وصار من
 أتباع ابليس وعبدته كما تذكر الرسالة..
 فهجرهم إشعيا وبعض الصالحين معه إلى بيت
 لحم ثم إلى جبل بالصحراء.. وهناك أمضوا
 سنتين على أوراق النباتات.. وظهر خلال هذه
 الفترة مدع للنبوة اسمه بلشيرا ألب ماناسه على
 اشعيا وحثه لقتله، بحجة أنه شبه أورشليم
 والمدن اليهودية الأخرى بسدوم وعمورية
 ووعدا بمصير مشابه، وأنه ادعى رؤية الله
 عز وجل، فاحضر إشعيا، ووضع المنشار على

رأسه وبلشيرا Bechira يسخر منه هو والملك
ومن معهم، ولما شرعوا بالنشر أغراه بلشيرا
بالعفو عنه إن هو امتدح دين الملك ماناسه ودين
بلشيرا نفسه.. ولكن إشعيا رد بإدانتهم ولعنهم،
هم ومن معهم، وتهدهم بأنهم لا يقدرّون منه
إلا على جلد لحمه (لعلها إشارة إلى موضع
الألم الأصلي وتركيزه بالجلد).. وكان خلال
نشره يذكر الله حتى فُلّق إلى فلقَتين..

جاء في شعب الإيمان وفي غيره عن خباب قال :
شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوسد ببردة له ، وهو في ظل الكعبة فقلنا :
ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر الله لنا ، قال :
فجلس محمرا وجهه ثم قال: والله إن كان ممن
قبلكم ليؤخذ الرجل فتحفر له الحفرة فيوضع
المنشار على رأسه فيشق اثنتين ما يصرفه
عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين عظمه
ولحمه ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله
هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء
إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل أو
الذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون". أخرجاه
كذلك في الصحيح من وجه آخر..

- عزاء الصالحين أن الدنيا فانية، وأن
آمالهم وأحلامهم حتى لو تحققت لهم بها فهي

كذلك فانية.. فما الفوز الحقيقي في أعينهم إلا
أن تأتيهم منايهم وهم ثابتون.. حينها يوقنون
بالنجاة فيصرخ الواحد منهم وهو يطعن
فيخسر حياته بالدنيا، يصرخ وهو يُقتل فيقول
فزتُ ورب الكعبة..

- إن توبة هذا الملك ماناسه قاتل الأنبياء الذي
ارتد ونشر الوثنية بين الناس.. إن توبته لتذكرنا
بسعة رحمة الله للناس جميعا بما فيهم رؤوس
الكفر والجريمة.. ومن هنا نفهم الأمل بتوبة
الكفار الذين نقاتلهم " قاتلوهم يُعذبهم الله
بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مؤمنين. ويذهب غبط قلوبهم
ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم"
التوبة ١٤ ، ١٥.. ونفهم كذلك فتح باب التوبة
للذين حرقوا المؤمنين من أصحاب الإخود..
قال تعالى " إن الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق" البروج ١٠.. جاء في الصحيح
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: " يضحك الله إلى
رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل
هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل
فيُستشهد" .. فالقاتل يدخل الجنة مع الشهيد

وقد حكم بعد ماناسه ابنه
آمون (٦٤٢ - ٦٤٠ ق م)
وكان مثله قبل توبته شريرا
" لم يحد عن طريقه"، وعبد
الأصنام التي عبد وسجد
للتى سجد.. وقد تأمر عليه
رجاله واغتالوه.. <

الأول الذي قتله وقد يعلو عليه منزلة بها.. إن هذا الملك وهذا الدين ملك الله يَمَنُّ بهديته على مَنْ يشاء.. ولا يُسأل عن ذلك.. والمؤمن عبدٌ لله ليس له من الأمر شيء، يَرْضَى بحكم الله تعالى وأمره حتى لو اشتمل ذلك على هداية وإكرام قاتله الذي كان يدعو عليه.. يعلم أن الله سيرضيه بالآخرة وكفى..

- فترة نبوة حلقيا Hilkih
- جاء في سفر الملوك الأول ١٣ نبوءة بقيام يوشيا بقتل كهنة المرتفعات الذين يقربون القرابين للأوثان (وأهمها كان عجلي ذهب أقامهما يربعام ببيت إيل وفي دان، وكلتاها مدينتان بشمال أورشليم، وذلك لتكونا مركزين لمن يريد السفر للعبادة إلى أورشليم الأبعد مسافة والواقعة تحت الخصوم من حكام يهوذا..) وقد أطاعه بنو إسرائيل في هذا الأمر.. رغم قصة العجل الأولى أيام موسى عليه السلام..

- يلاحظ إقرار الكتاب المقدس لقتل المرتدين.. وشواهد ذلك كثيرة.. وقد أثبتت التوراة قتل موسى للمرتدين من بني إسرائيل كما حدث أن قتل كل الإسرائيليين الذين تعلقوا بعبادة " بعل فغور" الذي كان

ثم جاء بعد آمون ابنه الملك يوشيا أو جوشيا (٦٤٠-٦٠٩ ق م) Josiah فقام بإحياء الديانة اليهودية مرة أخرى، وجدد بيت الله المقدس، و قام بإحراق الأصنام به وتحطيمها وإخراجها من البيت ترابا مهيلا، وقتل الكهنة المرتدين في كل أنحاء البلاد، وأخرج أجساد موتاهم من قبورها وأحرقها، وهدم السواري والتمائيل المنصوبة للبعل وللشمس ولعشتاروت وغيرها من معبودات الوثنيات، وجمع

الكهنة وقرأ عليهم أسفار الشريعة كلها، وقطع عهدا على نفسه " أن يتبع الرب حافظا وصاياه وشهاداته وفرائضه من كل القلب والنفس " ووعده الناس بالوفاء معه بهذا العهد، وأعلن للناس التوحيد وضرورة التمسك بالكتاب، فقامت بالبلاد عودة إلى الله لكنها انتهت باستشهاد صاحبها الملك جوشيا عند قتاله لفرعون مصر، وهو قتال تجاهل فيه الأنبياء الذين عاصروه ولم يستأذن له، ومع هذا فقد أبقي الله له بالتوراة وتاريخ بني إسرائيل ذكرا حسنا من بعده لا ينسى. <

الموآبيون يعبدونه (العدد ٢٥ : ٤-٥)، وسبق معنا قيام الملك الصالح آسا بأخذ العهد على بني إسرائيل بقتل كل من لا يطلب الرب رجلا كان أو امرأة.. وقيام إيليا النبي عليه السلام بقتل المرتدين ومدعي النبوة (أنبياء البعل) مع الملكة الخبيثة إيزابل.. وقيام ياهو بغدر عبدة البعل وقتلهم كما رأينا ذلك من قبل.. ونرى هنا بهذا الموضع إقرار الكتاب المقدس لقيام يوشيا بقتل المرتدين من اليهود.. وواضح أن في ذلك حفظ للدين، وأن أهل الكتاب الذين يعرفون تسامح الإسلام مع مخالفيه ليعلمون أن قتل المرتدين قضية أخرى لم ينفرد بها الإسلام..

- من المخزي أن يتفاخر المسلمون هذه العصور بأسماء طغاة كفر أو بأسماء أوثان حارب عبادتها الأنبياء والصالحون من قبل.. ألا يشاركني القارئ الكريم بأن تسمية جامعة عربية باسم "جامعة عشتاروت" لا يختلف عن تسميتها باسم "جامعة هبل" بكل ما يحمله ذلك من إحياء بالردة..؟ أم أننا سنُعظم عشتاروت لأن آباء اليهود المؤمنين قد حاربوه من

قبل، حتى ولو كان وثناً يُعبد من دون الله عز وجل؟	
- تنبأ النبي إرميا Jeremiah بن حلقيا في هذه الفترة - كما تنبأ من قبله ميخا وأشعيا وآخرون- تنبأ بهدم ودمار القدس والهيكل (إرميا ٢٦: ٦-٧ و ١٢)، وأن الله لن يحمي اليهود من البابليين بزعامة عبدالله نبوخذنصر "فها أنا أجند جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذناصر <u>عبيدي</u>" إرمياء ٢٥: ٩.. "ها أنا آتي <u>بعبيدي</u> نبوخذناصر..". إرمياء ٤٣: ١٠.. ما لم يتخلصوا من الأوثان التي أعيدت من بعد عهد جوشيا، <u>ويحكموا</u> شريعة الرب..". هذا ما يُعلنه الرب: إن لم تُطيعوني فتسلكوا في شريعتي التي جعلتها أمامكم..". إرمياء ٢٦: ٤، "ولا تضلوا وراء آلهة أخرى لتعبوها وتسجدوا لها..". إرمياء ٢٥: ٦.. ولكن اليهود صدقوا نبوات رافت لهم من أنبياء كذبة! وعدوهم بالنصر وبأن الله سينقذهم من البابليين وزعيمهم نبوخذنصر كما أنقذهم من حصار سنحاريب الآشوري من قبل.. وقد استمر إرمياء عليه السلام يذرهم بالعقاب الشديد من الله وخراب أورشليم والمعبد لمدة ثلاثة وعشرين عاما.. وقد حاولوا قتله لولا أن الله	جاء بعد جوشيا ابنه الأصغر يهوأحاز (٦٠٩-٦٠٩ ق م)، وحكم لثلاثة أشهر، وكان شريرا، فاستدعاه " نخو" فرعون مصر الذي كان قد سيطر على الأراضي غرب الفرات، وأخذه معه إلى مصر، ووضع مكانه أخاه الأكبر: جيهوياكم Jehoiakim (أو يهوياقيم أو بحسب اسمه الأصلي الياقيم) (٦٠٩-٥٩٨ ق م) وضعه حاكماً، وقد استمر حكم جيهوياكم أحد عشر عاما عادت خلالها عبادة الأصنام ومظاهر الفساد والردة، فأرسل الله إليه نبوخذنصر الذي كان قد هزم نخو فرعون مصر هزيمة نكراء قرب الفرات،

حماء ببعض العقلاء.. ومع ذلك فقد قتل اليهود أوريا بن شمعيان نبيا آخر عاصر إرميا وتوعدهم بمثل نبوة إرميا من خراب بلادهم، وذلك على ما ذكر في كتاب إرميا (٢٦): (٢٠ - ٢٤).

.. مرة أخرى يقع اليهود (عام ٥٨٦ ق.م)
فريسة سهلة لأعدائهم بسبب غرورهم بحظوة خاصة عند الله عز وجل..

- استسلمت أورشليم لنبوخذنصر عام ٥٩٧ ق.م، فاكتفى بنهب ثروات البيت، وأسر نبوخذنصر الملك جيھوياكم، الذي كان قد تمرد على نبوخذنصر بعد أن كان قد أعطاه الولاء والجزية من بعد انتصاره على نحو ملك مصر، لكن فساد وعصيانه للأنبياء كانا سببا في تمرده هذا على نبوخذنصر، ذلك التمرد الذي جرّ عليه البطش الرباني الموعود، فنجح هو ورجاله على أيدي نبوخذنصر وألقيت جثثهم دون دفن خارج أسوار أورشليم، ولما استولى نبوخذنصر على المدينة أسر ابنه جيھوياكم ووجهاء البلد معه، وكان النبي إرميا قد استمر يحذر اليهود وملوكهم عواقب ردتهم من بعد جوشيا، وينصحهم بعدم التمرد على بابل فلم

واستولى من بعده على مستعمراته بما فيها فلسطين، واقتاد نبوخذنصر جيھوياكم مقيدا بالسلاسل إلى بابل عام ٥٩٨ ق.م، ووضع مكانه من بعده جيھياشن (جيھوياكين) ابن جيھوياكم (٥٩٨ - ٥٩٧) فأفسد، فأهلكه الله بنبوخذنصر الذي أسره في العام التالي مع ثلاثة آلاف من وجهاء اليهود ومعهم خمسة آلاف من الأطفال والنساء من بينهم النبي حزقيال وهو مازال في طفولته، ووضع نبوخذنصر صديقا Zedkiah (٥٩٧ - ٥٨٦ ق م) مكان جيھوياكين ملكا على اليهود، وصديقا هو عم جيھوياكين، وكان شريرا كمن قبله، فعصى صديقا النبي إرميا واستهزأ بالرسل، ونكث عهده مع نبوخذنصر

(وقد أنبأته على ذلك
إصحاحات حزقيال)، فكان
أن عاد نبوخذنصر ونفذ
باليهود العقاب البابلي
المشهور عام ٥٨٦ ق م،
وقد امتد حكم صدقيا ١١
عاما. <

يسمعوا، فكان مجيء نبوخذنصر هذا عام
٥٩٨ - ٥٩٧ ق.م.. وسنرى كيف لم يتعظ
اليهود بذلك فكرروا التمرد على الشريعة
والأنبياء ثم التمرد على نبوخذنصر، فحلّ عليهم
العقاب الشديد في أغسطس ٥٨٦ ق م..
- غريب أمر هؤلاء الحكام على ماذا يعتمدون
وهم يواجهون قوى عظمى حولهم! وكيف
يرجون النصر من الله عزوجل وهم يعصون
أنبياءه (كارميا هاهنا) ويضطهدونهم.. فما
أحمقهم! يفوقهم أعداؤهم كثيراً في القوة
والعتاد.. ولا يتفوقون عليه بطاعة الله ولا
معيته.. فهلا رحموا الشعوب التي معهم فلم
يعرضوها لما لا تحتل من البلاء والعذاب..
وسعوا إلى تجنب مواجهة أعدائهم، وإعداد
الأسباب المعنوية والمادية للمواجهة، وعلى
رأسها الإنابة إلى الله وتحكيم شريعته، وتطبيق
دينه، والمحافظة على هوية الأمة وأصالتها
واستقلالها الفكري، فلعل الله أن يهيئ لها سبيلا
إلى النصر والعزة.. نرى تحرشا مستمرا من
اليهود بمن يحكمهم من الدول الوثنية من
البابليين ثم الفرس واليونانيين والرومان، وكان
ذلك دائما باباً لإحلال العقاب الإلهي الذي كتبه
الله عزوجل على بني إسرائيل أن يقع عليهم

بأيدي الأمم من حولهم، قال تعالى " وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكَ لِيَسْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" .. وكان في ذلك بلاء يفوق
الوصف كما سيمر معنا في مواقف متكررة
أخرى وبالذات عند الحديث عن الحكم
الروماني ..

فهل يتعظ المسلمون هذا العصر، من
تجارب اليهود مع مستعمرهم، ويحسنوا
المواجهة، ويكفوا عن التحرش الذي لا يؤدي
إلا لإثارة أعدائهم خاصة وهم يعدمون حالياً
أسباب النصر المعنوية والمادية.. وهل أن
يكونوا أعزَّ على الله من نبيه صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين معه وقد كفوا أيديهم بمكة
وصبروا على ألوان العذاب، أو ورسوله يسعى
لفك حصار غطفان بنصف خيرات المدينة، أو
وهو يُقر انسحاب المسلمين بمؤتة من أمام
الروم.. أو ليس مؤسفاً أن تضع الخلافة
العباسية بسبب اعتداء آثم لملك خوارزم
(خوارزم شاه) وأحد أمرائه على قافلة تجارية
مغولية، فيتسبب ذلك في هجوم جنكيزخان
منتقماً بجيوشه الجرارة من أمم الإسلام، وتقع
إحدى أكبر الكوارث على المسلمين.. أوليس